وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

سورة آل عمران

مدنية وآياتها ٢٠٠ نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ الم ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا

فى الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به ، وجاءت بعليها فى السيئات لأنها مما يضر بالعبد ، وإنما قال فى الحسنات كسبت وفى الشر اكتسبت ، لأن فى الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة ، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجد فى فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة ، ولما لم يكن الإنسان فى الحسنات كذلك : وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) أى قولوا ذلك فى دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم : سمعنا وأطعنا ، والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان ، والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان » وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه (ولا تحمل علينا إصرا) التكاليف الصعبة ، وقد كانت لمن تقدم من الأمم كقتل أنفسهم ، وقرض أبدانهم ، ورفعت عن هذه الأمة. قال تعالى : ويضع عنهم إصرهم . وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع . ثم إن الشرع دفع وقوعه . وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق. أربعة أنواع : الأول عقلى محض : كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن . فهذا جائز وواقع بالاتفاق . والثانى عادى كالطيران فى الهواء . والثالث عقلى وعادى : كالجمع بين الضدين ، فهذان وقع الخلاف فى جواز التكليف بهما ، والاتفاق على عدم وقوعه ، والرابع تكليف مايشق ويصعب ، فهذا جائز اتفاقا ، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم ، ورفعه عن هذه الأمة (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضى مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام (مولانا) ولينا وسيدنا

سـورة آل عمران

نزل صدرها إلى نيف وثمانين آية لما قدم نصارى نجران المدينة المنورة يناظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عيسى عليه السلام (الم) تقدم الكلام على حروف الهجاء وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا فى الوصل لالتقاء الساكنين نحو من الناس ، وقال الزمخشرى هى حركة الهمزة نقلت إلى الميم وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط فى الدرج (الحى القيوم) رد على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب ، فليس بحى وليس بقيوم (الكتاب) هنا هو القرآن (بالحق) أى تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها أو بالاستحقاق (مصدقا) قد تقدم فى مصدقا لما معكم (بين يديه) الكتب المتقدمة (التوراة والإنجيل) أعجميان

بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝

فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما (وأنزل الفرقان) يعني القرآن وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه الفارق بين الحق والباطل ويحتمل أن يكون ذكره أولا على وجه الإثبات لإنزاله لقوله : مصدقا لما بين يديه ، ثم ذكره ثانيا على وجه الامتنان بالهدى به ، كما قال في التوراة والانجيل هدى للناس ، فكأنه قال وأنزل الفرقان هدى للناس ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه ، فلما اختلف قصد الكلام في الموضعين لم يكن ذلك تكرارا ، وقيل الفرقان هنا : كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره ، وقيل هو الزبور ، وهذا بعيد (لا يخفى عليه شيء) خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفضيل ، وهذه صفة لم تكن لعيسى ، ولا لغيره ، ففي ذلك رد على النصارى (هو الذي يصوركم) برهان على إثبات علم الله المذكور قبل : وفيه رد على النصارى ، لأن عيسى لا يقدر على التصوير ، بل كان مصورا كسائر بني آدم (كيف يشاء) من طول ، وقصر ، وحسن ، وقبح ، ولون ؛ وغير ذلك (منه آيات محكمات) المحكم من القرآن : هو البين المعنى ، الثابت الحكم ، والمتشابه هو الذي يحتاج إلى التأويل ، أو يكون مستغلق المعنى : كحروف الهجاء ، قال ابن عباس : المحكمات الناسخات والحلال والحرام ، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر ، وهو تمثيل لما قلنا (هن أم الكتاب) أي عمدة ما فيه ومعظمه (فأما الذين في قلوبهم زيغ) نزلت في نصارى نجران فإنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم ، قالوا فحسبنا إذا ، فهذا من المتشابه الذي اتبعوه ، وقيل نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حكيم ثم يدخل في ذلك كل كافر أو مبتدع ، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن (ابتغاء الفتنة) أي ليفتنوا به الناس (وابتغاء تأويله) أي يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبهم أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل اليه مخلوق (وما يعلم تأويله إلا الله) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن وذم لمن طلب علم ذلك من الناس (والراسخون في العلم) مبتدأ مقطوع مما قبله ، والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته ، وقيل إنه معطوف على ما قبله وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله ، وكلا القولين مروي عن ابن عباس ، والقول الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة ، وعروة بن الزبير ، وهو أرجح ، وقال ابن عطية المتشابه نوعان : نوع انفرد الله بعلمه ، ونوع يمكن وصول الخلق إليه فيكون الراسخون ابتداء بالنظر إلى الأول ، وعطفا بالنظر إلى الثاني (كل من عند ربنا) أي المحكم والمتشابه من عند الله (ربنا لا تزغ قلوبنا) حكاية عن الراسخين ، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم

رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ
وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَأُولَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ
يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَـٰرِ ۝ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَٰتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ

والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله وما يذكر إلا أولو الألباب؛ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين إن الله لا يخلف الميعاد) استدلال على البعث ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين أو منقطعاً فهو من كلام الله (كدأب) في موضع رفع أي دأب هؤلاء كدأب (آل فرعون) وفي ذلك تهديد (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون، ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على آل فرعون (بآياتنا) البراهين أو الكتاب (ستغلبون وتحشرون) قرئ بتاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل لكفار قريش، وقرئ بالياء إخباراً عن يهود المدينة، وقيل عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال. فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية. ثم أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة (قد كان لكم آية) قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود، وقيل لقريش؛ والأول أرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم ستغلبون. ففيه تهديد لهم وعبرة كما جرى لغيرهم (في فئتين التقتا فئة) المسلمون والمشركون يوم بدر (يرونهم مثليهم) قرئ ترونهم بالتاء خطابا لمن خوطب بقوله قد كان لكم آية. والمعنى ترون الكفار مثلي المؤمنين. ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قدر عددهم، وقرئ بالياء. والفاعل في يرونهم المؤمنون، والمفعول به هم المشركون. والضمير في مثليهم للمؤمنين والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار كانوا يوم بدر أكثر من المسلمين؛ فالجواب من وجهين أحدهما أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين، لأن الكفار كانوا قريبا من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار في أعين المؤمنين حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أخبروا به من قتال الواحد للاثنين من قوله «إن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا، والآخر أنه رجع قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلا، وذلك قدر عدد المسلمين مرتين وقيل إن الفاعل في يرونهم ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين وأن الضمير في مثليهم يحتمل أن يكون للمؤمنين والمفعول للمشركين. والمعنى على هذا أن الله كثر عدد المسلمين في أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين أو مثلي المؤمنين. وهم أقل من ذلك وإنما كثرهم الله في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى، ويقللكم في أعينهم (رأي العين) نصب على المصدرية ومعناه معاينة ظاهرة لاشك فيها (والله يؤيد

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ
عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۝ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ

بنصره من يشاء) أى أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة ، فإن فئة المسلمين غلبت فئة الكافرين ؛ مع أنهم كانوا أكثر منهم (زين للناس) قيل المزين هو الله وقيل الشيطان . ولا تعارض بينهما فتزيين الله بالإيجاد والتهيئة للانتفاع ، وإنشاء الجبلة على الميل إلى الدنيا . وتزيين الشيطان بالوسوسة والخديعة (والقناطير) جمع قنطار ، وهو ألف ومائتا أوقية ، وقيل ألف ومائتا مثقال ، وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم (المقنطرة) مبنية من لفظ القناطير وللتأكيد كقولهم ألوف مؤلفة ، وقيل المضروبة دنانير أو دراهم (المسومة) الراعية من قولهم سام الفرس وغيره إذا جال فى المسارح ، وقيل المعلمة فى وجوهها شيئان فهى من السمات بمعنى العلامات . قيل المعدة للجهاد (ذلك متاع الحياة الدنيا) تحقير لها ليزهد فيها الناس (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) تفضيل للآخرة على الدنيا ليرغب فيها وتمام الكلام فى قوله من ذلكم ثم ابتدأ قوله (للذين اتقوا) تفسيراً لذلك فجنات على هذا مبتدأ وخبره للذين اتقوا ، وقيل إن قوله للذين اتقوا متعلق بما قبله وتمام الكلام فى قوله عند ربهم ، فجنات على هذا خبر مبتدأ مضمر (ورضوان من الله) زيادة إلى نعيم الجنة ، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد فى الحديث (الذين يقولون) نعت للذين اتقوا ، ورفع بالابتداء ، أو نصب بإضمار فعل (الصادقين) فى الأقوال والأفعال (والقانتين) العابدين والمطيعين (والمستغفرين) الاستغفار هو طلب المغفرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نستغفر ، فقال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (بالأسحار) جمع سحر وهو آخر الليل يقال إنه الثلث الأخير ، وهو الذى ورد أن الله يقول حينئذ : من يستغفرنى فأغفر له ، (شهد الله) الآية : شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية وقيل معناها إعلامه لعباده بذلك (والملائكة وأولوا العلم) عطف على اسم الله أى هم شهداء بالوحدانية ، ويعنى بأولى العلم : العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته (قائما) منصوب على الحال من اسم الله أو من هو أو منصوب على المدح (بالقسط) بالعدل (لا إله إلا هو) إنما كرر التهليل لوجهين : أحدهما : أنه ذكر أولا الشهادة بالوحدانية ، ثم ذكرها ثانيا بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة ، والآخر أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها (إن الدين) بكسر الهمزة ابتداء ، وبفتحها بدل من أنه ، وهو بدل شىء من شىء ، لأن التوحيد هو الإسلام (وما اختلف الذين) الآية : إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغى ، وهو الحسد ، والآية

اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

فى اليهود ، وقيل فى النصارى ، وقيل فيهما (سريع الحساب) قد تقدم معناه فى البقرة وهو هنا تهديد ، ولذلك وقع فى جواب من يكفر (فإن حاجوك) أى جادلوك فى الدين ، والضمير لليهود ونصارى نجران (أسلمت وجهى) أى أخلصت نفسى وجملتى (لله) وعبر بالوجه على الجملة ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك ، فسقطت حجة من خالفه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت ويجوز أن يكون مفعولا معه (أأسلمتم) تقرير بعد إقامة الحجة عليهم أى قد جاءكم من البراهين مايقتضى أن تسلموا (فإنما عليك البلاغ) أى إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك ، فإذا أبلغتها فقد فعلت ماعليك ، وقيل إن فيها موادعة نسختها آية السيف (إن الذين يكفرون) الآية : نزلت فى اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبح أفعالهم ، وأفعال أسلافهم (الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) هم اليهود ، والكتاب هنا التوراة ، أوجنس (يدعون إلى كتاب الله) قال ابن عباس : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جماعة من اليهود فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد ، فقالوا له على أى دين أنت . فقال لهم على دين إبراهيم ، فقالوا إن إبراهيم كان يهوديا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهلموا إلي التوراة فهى بيننا وبينكم ، فأبوا عليه فنزلت الآية ، فكتاب الله على هذا التوراة ، وقيل هو القرآن : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم اليه فيعرضون عنه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله والباء سببية : والمعنى أن كفرهم بسبب اعتراضهم وأكاذيبهم ، والأيام المعدودات قد ذكرت فى البقرة (فكيف إذا جمعناهم) أى كيف يكون حالهم يوم القيامة ، والمعنى تهويل واستعظام لها أعد لهم (اللهم) منادى ، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين ، ولذلك لايجتمعان ، وقال الكوفيون أصله ياالله أمنا بخير فالميم عندهم من أمنا (مالك الملك) منادى عند سيبويه ، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله ؛ وقيل إن الآية نزلت ردا على النصارى فى قولهم إن عيسى هو الله ، لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى ، وقيل لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر : استبعد ذلك المنافقون ، فنزلت الآية (بيدك الخير) قيل المراد بيدك الخير

وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝

والشر ، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه ، وقيل إنما خص الخير بالذكر ، لأن الآيه فى معنى دعاء ورغبة فكأنه يقول : بيدك الخير فأجزل حظى منه (تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ) قال عبد الله بن مسعود : هى النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حى ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة ، وقال عكرمة : هى إخراج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، وقيل يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ، فالحياة والموت على هذا استعارة ، وفى ذكر الحى من الميت المطابقة ، وهى من أدوات البيان ، وفيه أيضا القلب لأنه قدم الحىّ على الميت ، ثم عكس (بغير حساب) بغير تضييق وقيل بغير محاسبة (لا يتخذ المؤمنون) الآية. عامة فى جميع الأعصار ، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود ، وقيل كتاب حاطب إلى مشركى قريش (فليس من الله فى شىء) تبرؤ ممن فعل ذلك ووعيد على موالاة الكفار ، وفى الكلام حذف تقديره : ليس من التقرب إلى الله فى شىء ، وموضع فى شىء نصب على الحال من الضمير فى ليس من الله ، قاله ابن عطية (إلا أن تتقوا منهم) إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم والمراد موالاة فى الظاهر مع البغضاء فى الباطن (تقاة) وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين . وفاؤه واو ، وأبدل منها تاء ، ولامه ياء أبدل منها ألف ، وهو منصوب على المصدرية ، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير فى تتقوا (ويحذركم الله نفسه) تخويف (يوم تجد) منصوب على الظرفية والعامل فيه فعل مضمر تقديره اذكروا أو خافوا وقيل العامل فيه قدير ، وقيل المصير ، وقيل يحذركم (وما عملت من سوء) مبتدأ خبره تود ، أو معطوف (أمدا) أى مسافة (والله رؤوف) ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفرط الخوف أو لأن التحذير والتنبيه رأفة (فاتبعونى) جعل اتباع النبى صلى الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى وشرط فى محبة الله للعبد ومغفرته له ، وقيل إن الآية خطاب لنصارى نجران ومعناها على العموم فى جميع الناس (إن الله اصطفى) الآية : لما مضى صدر من محاجة نصارى نجران أخذ يبين لهم ما اختلفوا فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته وبدأ بذكر آدم ونوح عليهما السلام تكميلا للأمر لأنهما أبوان لجميع الأنبياء ، ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام ، وقيل إن عمران هنا هو والد موسى ، وبينهما ألف وثمانمائة سنة ، والأظهر أن المراد هنا والد مريم ، لذكر قصتها بعد ذلك (آل إبراهيم وآل عمران) يحتمل أن يريد بآل القرابة ، أو الأتباع ، وعلى الوجهين

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ

يدخل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى آل إبراهيم (ذرية) بدل مما تقدم أو حال ووزنه فعلية منسوب إلى الذر لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر وغير أوله فى النسب ، وقيل أصل ذرية ذروة وزنها فعولة ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء ، فصار ذروية ، ثم أدغمت الواو فى الياء وكسرت الراء ، فصارت ذرية (إذ قالت) العامل فيه محذوف تقديره اذكروا ، وقيل عليم ، وقال الزجاج العامل فيه معنى الاصطفاء (امرأة عمران) اسمها حنة بالنون ، وهى أم مريم ، وعمران هذا هو والد مريم (نذرت) أى جعلت نذرا علىّ أن يكون هذا الولد فى بطنى حبسا على خدمة بيتك ، وهو بيت المقدس (محررا) أى عتيقا من كل شغل إلا خدمة المسجد (فلما وضعتها) الآية . كانوا لا يحررون الإناث بخدمة المساجد ، فقالت (إنى وضعتها أنثى) تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذى نذرت (والله أعلم بما وضعت) قرئ وضعت بإسكان التاء وهو من كلام الله تعظيما لوضعها وقرئ بضم التاء وإسكان العين وهو على هذا من كلامها (وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون من كلام الله ، فالمعنى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لك ، وأن يكون من كلامها فالمعنى ليس الذكر كالأنثى فى خدمة المساجد ، لأن الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث (سميتها مريم) إنما قالت لربها سميتها مريم لأن مريم فى لغتهم بمعنى العابدة ، فأرادت بذلك التقرب إلى الله ، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته وامتنع مريم من الصرف للتعريف والتأنيث ، وفيه أيضا العجمة (وإنى أعيذها بك) ورد فى الحديث ما من مولود إلا نخسه الشيطان يوم ولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها ، لقوله : وإنى أعيذها بك : الآية (فتقبلها ربها) أى رضيها للمسجد مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدرا على غير المصدر ، والآخر أن يكون اسما لما يقبل به كالسعوط اسم لما يسعط به (وأنبتها نباتا حسنا) عبارة عن حسن النشأة (وكفلها زكريا) أى ضمها إلى إنفاقه وحضانته ، والكافل هو الحاضن ، وكان زكريا زوج خالتها ، وقرئ كفلها بتشديد الفاء ، ونصب زكريا : أى جعله الله كافلها (المحراب) فى اللغة أشرف المجالس ، وبذلك سمى موضع الإمام ، ويقال إن زكريا بنى لها غرفة فى المسجد ، وهى المحراب هنا ، وقيل المحراب موضع العبادة (وجد عندها رزقا) كان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويقال إنها لم ترضع ثديا قط ، وكان الله يرزقها (أنى لك هذا) إشارة إلى مكان أى كيف ومن أين (إن الله يرزق) يحتمل أن يكون من كلام مريم أو من كلام الله تعالى (هنالك) إشارة إلى مكان ، وقد يستعمل فى الزمان ، وهو الأظهر هنا أى لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم : سأل من الله الولد (فنادته

هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ۞ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ۞ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ الْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

الملائكة) أنث رعاية للجماعة ، وقرئ بالألف على التذكير وقيل الذى ناداه جبريل وحده وإنما قيل الملائكة لقولهم فلان يركب الخيل أى جنس الخيل وإن كان فرسا واحدا (يحيى) اسم سماه الله تعالى به قبل أن يولد ، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء فى العربية ، وهو لا ينصرف ، فإن كان فى الإعراب أعجميا ففيه التعريف والعجمة ، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) أى مصدقا بعيسى عليه السلام مؤمنا به ، وسمى عيسى كلمة الله ، لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهى قوله كن لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بنى آدم (وسيدا) السيد الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف والفضل (وحصورا) أى لا يأتى النساء فقيل خلقه الله كذلك ، وقيل كان يمسك نفسه ، وقيل الحصور الذى لا يأتى الذنوب (أنى يكون لى غلام) تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته ، وعقم امرأته ، ويقال كان له تسع وتسعون سنة ، ولامرأته ثمان وتسعون سنة ، فاستبعد ذلك فى العادة ، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك ، فسأله مع علمه بقدرة الله ، واستبعده لأنه نادر فى العادة ، وقيل سأله وهو شاب ، وأجيبت وهو شيخ ، ولذلك استبعده (كذلك الله يفعل ما يشاء) أى مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة ، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا ، واسم الله مرفوع بالابتداء ، أو كذلك خبره فيجب وصله معه ، وقيل الخبر يفعل الله ما يشاء ويحتمل كذلك على هذا وجهين : أحدهما أن يكون فى موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون فى موضع خبر مبتدإ محذوف تقديره الأمر كذلك ، أو أنتما كذلك ، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام ، وارتباط قوله يفعل ما يشاء مع ما قبله ولأن له نظائر كثيرة فى القرآن منها قوله كذلك أخذ ربك (اجعل لى آية) أى علامة على حمل المرأة (آيتك ألا تكلم الناس) أى علامتك أن لا تقدر على كلام الناس (ثلاثة أيام) بمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء الكلام بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر (إلا رمزا) إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما ، فهو استثناء منقطع (بالعشى) من زوال الشمس إلى غروبها ، والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى (وإذ قالت الملائكة) اختلف هل المراد جبريل أو جمع من الملائكة والعامل فى إذ مضمر (اصطفاك) أولا حين تقبلك من أمك (وطهرك) من كل عيب فى خلق وخلق ودين (واصطفاك على نساء العالمين) يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب ، فيكون على نساء العالمين عاما ، أو يكون الاصطفاء عاما فيخص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ، أو يكون المعنى على نساء

مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ

زمانها ؛ وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق ، وقيل إنها كانت نبية لتكليم الملائكة لها (اقنتى) القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة ، وقيل طول القيام فى الصلاة وهو قول الأكثرين (واسجدى واركعى) أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها ، ثم قيل لها اركعى مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين ، أو فى الجماعة فلا يقتضى الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع ، لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين فى ركعة واحدة ، وقيل أراد ذلك ، وقدم السجود لأن الواو لاترتب ، ويحتمل أن تكون الصلاة فى ملتهم بتقديم السجود على الركوع (ذلك) إشارة إلى ماتقدم من القصص وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (ما كنت لديهم) احتجاجا على نبوته صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم (يلقون أقلامهم) أى أزلامهم ، وهى قداحهم ، وقيل الأقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اقترعوا بها على كفالة مريم ، حرصا عليها وتنافسا فى كفالتها ، وتدل الآية على جواز القرعة ، وقد ثبتت أيضا من السنة (أيهم يكفل مريم) مبتدأ وخبر فى موضع نصب بفعل تقديره ينظرون أيهم (يختصمون) يختلفون فيمن يكفلها منهم (إذ قالت الملائكة) إذ بدل من إذ قالت ، أو من إذ يختصمون ، والعامل فيه مضمر (اسمه) أعاد الضمير المذكر على الكلمة ، لأن المسمى بها ذكر (المسيح) قيل هو مشتق من ساح فى الأرض ، فوزنه مفعل ، وقال الأكثرون من مسح لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل وإنما قال عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها ، إعلاما بأنه يولد من غير والد (وجيها) نصب على الحال ، ووجاهته فى الدنيا النبوة والتقديم على الناس ، وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة (فى المهد) فى موضع الحال ، (وكهلا) عطف عليه ، والمعنى أنه يكلم الناس صغيرا آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود ، وتدل على نبوته ، ويكلمهم أيضا كبيرا ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة ، وأوله ثلاث وثلاثون سنة وقيل أربعون (ويعلمه) عطف على يبشرك أو ويكلم (الكتاب) هنا جنس ، وقيل الخط باليد ، والحكمة هنا العلوم الدينية ، أو الإصابة فى القول والفعل (ورسولا) حال معطوف على ويعلمه إذ التقدير ومعلما الكتاب أو يضمر له فعل تقديره أرسل رسولا أو جاء رسولا (إلى بنى إسرائيل) أى أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة (أنى) تقديره بأنى (أخلق) بفتح الهمزة بدل من أنى الأولى ، أو من آية وبكسرها ابتداء كلام (فأنفخ فيه) ذكرهنا الضمير لأنه يعود على الطين ، أو على الكاف من كهيئة ، وأنث فى

وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ
قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا
أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا

المائدة لأنه يعود على الهيئة (فيكون طيرا) قيل إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرئ طيرا بياء ساكنة على الجمع، وبالألف وهمزة على الإفراد، ذكر بإذن الله: رفعا لوهم من توهم فى عيسى الربوبية (وأبرئ) روى أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصاء فيدعو لهم فيبرؤن (وأحيي الموتى) روى أنه كان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، وروى أنه أحيى سام بن نوح (وأنبئكم) كان يقول يافلان أكلت كذا وادخرت فى بيتك كذا (ومصدقا) عطف على رسولا أو على موضع بآية من ربكم، لأنه فى موضع الحال، وهو أحسن لأنه من جملة كلام عيسى فالتقدير: جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم مصدقا (ولأحل لكم) عطف على بآية من ربكم، وكانوا قد حرم عليهم الشحوم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطير فأحل لهم عيسى بعض ذلك (إن الله ربى وربكم) رد على من نسب الربوبية لعيسى وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله (صراط مستقيم) وابتداؤه من قوله أنى قد جئتكم، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع ثم استؤنف الكلام من قوله ورسولا، على تقدير جاء عيسى رسولا: بأنى قد جئتكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره (فلما أحس عيسى) أى علم علما ظاهرا كعلم مايدرك بالحواس (من أنصارى) طلب للنصرة، والأنصار جمع ناصر (إلى الله) تقديره من يضيف أنفسهم فى نصرتى إلى الله فلذلك قيل إلى هنا بمعنى مع أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا أو ملتجئا إلى الله (الحواريون) حوارى الرجل صفوته وخاصته، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى وإن حوارى الزبير، وقيل إن الحواريين كانوا قصارين يحورون الثياب، أى يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين (بما أنزلت) يريدون الإنجيل، والرسول هنا عيسى عليه السلام (مع الشاهدين) أى مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس (ومكروا) الضمير لكفار بنى إسرائيل ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة (ومكر الله) أى رفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكله لقوله مكروا (والله خير الماكرين) أى أقواهم وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل (إذ قال الله) العامل فيه فعل مضمر، أو يمكر (إنى متوفيك) قيل وفاة موت، ثم أحياه الله فى السماء، وقيل رفع حيا، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال، وقيل يعنى وفاة نوم: وقيل المعنى قابضك من الأرض إلى السماء

إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ
آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ
مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا
اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن
بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

(ورافعك إلىّ) أى إلى السماء (ومطهرك) أى من سوء جوارهم (الذين اتبعوك) هم المسلمون، وعلوهم على الكفرة بالحجة وبالسيف فى غالب الأمر وقيل الذين اتبعوك النصارى؛ والذين كفروا اليهود، فالآية مخبرة عن عزة النصارى على اليهود وإذلالهم لهم (ذلك نتلوه) إشارة إلى ماتقدم من الأخبار (من الآيات) المتلوات أو المعجزات (الذكر) القرآن (الحكيم) الناطق بالحكمة (إن مثل عيسى) الآية حجة على النصارى فى قولهم: كيف يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذى خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم (خلقه من تراب) تفسير لحال آدم فيكون حكاية عن حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب، ثم قال له كن فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضى ليصور فى نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم (الحق) خبر مبتدأ مضمر (فمن حاجك فيه) أى فى عيسى، وكان الذى حاجه فيه وفد نجران من النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد، والآخر العاقب (نبتهل) نلتعن والبهلة اللعنة أى نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهال؛ ثم استعمل فى كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما نزلت الآية أرسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى على وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة فخافوا أن يهلكهم الله أو يمسخهم الله قردة وخنازير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية (قل يا أهل الكتاب) خطاب لنصارى نجران، وقيل اليهود (سواء) أى عدل ونصف (أن لا نعبد) بدل من كلمة أو رفع على تقدير هى، ودعاهم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى توحيد الله وترك ماعبدوه من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان (لم تحاجون فى إبراهيم) قالت اليهود كان إبراهيم يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، فنزلت الآية ردا عليهم لأن ملة اليهود والنصارى

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ * وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ

إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة (ها أنتم) ها تنبيه ، وقيل بدل من همزة الاستفهام ، وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم استئناف ؛ أو هؤلاء منصوب على التخصيص وحاججتم الخبر (فيما لكم به علم) فيما نطقت به التوراة والإنجيل (فيما ليس لكم به علم) ماتقدم على ذلك من حال إبراهيم (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) رد على اليهود والنصارى (وما كان من المشركين) نفى للاشتراك الذى هو عبادة الأوثان ، ودخل فى ذلك الإشراك الذى يتضمن دين اليهود والنصارى (وهذا النبى) عطف على الذين اتبعوه : أى محمد صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بإبراهيم) لأنه على دينه (والذين آمنوا) أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ودت طائفة) هم اليهود ، دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية (ومايضلون إلا أنفسهم) أى لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم (وأنتم تشهدون) أى تعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى (لم تلبسون الحق) أى تخلطون والحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والباطل الكفر به (آمنوا بالذى أنزل) كان قوم من اليهود لعنهم الله أظهروا الإسلام أول النهار ، ثم كفروا آخره ليخدعوا المسلمين ، فيقولوا مارجع هؤلاء إلا عن علم ، وقال السهيلى : إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف (أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم) يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله متصلا بقوله : إن الهدى هدى الله وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقولهم : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، ويكون إن الهدى اعتراضا بين الكلامين ، فعلى الأول يكون المعنى : كراهة أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم وقلتم ماقلتم ، ودبرتم مادبرتم من الخداع ، فموضع أن يؤتى مفعول من أجله ، أو منصوب بفعل مضمر تقديره فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم من الكتاب والنبوة ، وعلى الثانى فيكون المعنى . لا تؤمنوا أى لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (إلا لمن تبع دينكم) واكتموا ذلك على من لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، فموضع أن يؤتى مفعول بتؤمنوا المضمن معنى تقروا ، ويمكن أن يكون فى موضع المفعول من أجله : أى لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهية أن يؤتى أحد مثل ماأوتيتم (أو يحاجوكم) عطف على أن يؤتى ، وضمير الفاعل للمسلمين ، وضمير المفعول لليهود (إن الفضل بيد الله) رد على اليهود فى قولهم : لم يؤت أحدا مثل ماأوتى بنو إسرائيل من النبوة والشرف (ومن

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

أهل الكتاب) الآية : إخبار أن أهل الكتاب على قسمين : أمين ، وخائن . وذكر القنطار مثالا للكثير فمن أداه : أدى مادونه ، وذكر الدينار مثالا للقليل ، فمن منعه منع مافوقه بطريق الأولى (قائما) يحتمل أن أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد ، أو من القيام بالأمر ، وهو العزيمة عليه (ذلك بأنهم) الإشارة إلى خيانتهم والباء للتعليل (ليس علينا) زعموا بأن أموال الأميين ، وهم العرب : حلال لهم (الكذب) هنا قولهم ، إن الله أحلها عليهم في التوراة أو كذبهم على الإطلاق (بلى) عليهم سبيل وتباعة في أموال الأميين (بعهده) الضمير يعود على من أو على الله (إن الذين يشترون) الآية : قيل نزلت في اليهود لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا ، وقيل نزلت بسبب خصومة بين الأشعث من قيس وآخر ، فأراد خصمه أن يحلف كاذبا (وإن منهم) الضمير عائد على أهل الكتاب (يلوون ألسنتهم) أي يحرفون اللفظ أو المعنى (لتحسبوه) الضمير يعود على مادل عليه قوله يلوون ألسنتهم ، وهو الكلام المحرف (ما كان لبشر) الآية : هذا النفي متسلط على (ثم يقول للناس) والمعنى لايدعي الربوبية من آتاه الله النبوة ، والإشارة إلى عيسى عليه السلام رد على النصارى الذين قالوا إنه الله ، وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود قالوا له يامحمد : تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فقال معاذ الله مابذلك أمرت ولا اليه دعوت (ربانيين) جمع رباني ، وهو العالم ، وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره (بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية (تعلمون) بالتخفيف تعرفون . وقرئ بالتشديد من التعليم (ولا يأمركم) بالرفع استئناف ، والفاعل الله أو البشر المذكور ، وقرئ بالنصب عطف على أن يؤتيه أو على ثم يقول ، والفاعل على هذا البشر (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) معنى الآية أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وينصره إن أدركه ، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء ، واللام في قوله (لما آتيتكم) لام التوطئة ، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف ، واللام في لتؤمنن

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا
أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ
يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا
وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن
رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ * وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

جواب القسم ، وما يحتمل أن تكون شرطية ، ولتؤمنن سد مسد جواب القسم والشرط . وأن تكون موصولة بمعنى الذى آتيناكموه (لتؤمنن به) والضمير فى به ولتنصرنه عائد على الرسول (ءأقررتم) أى اعترفتم (إصرى) عهدى (فاشهدوا) أى على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد (وأنا معكم) تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جلّ جلاله (بعد ذلك) أى من تولى عن الإيمان بهذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا الميثاق فهو فاسق مرتد متمرد فى كفره (أفغير) الهمزة للإنكار ، والفاء عطفت جملة على جملة ، وغير مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر (وله أسلم) أى انقادوا واستسلم (طوعا وكرها) مصدر صدر فى موضع الحال ، والطوع للمؤمنين والكره للكافر إذا عاين الموت ، وقيل عند أخذ الميثاق المتقدم ، وقيل إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها (قل آمنا) أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان (وما أنزل علينا) تعدى هنا بعلى مناسبة لقوله قل ، وفى البقرة بإلى لقوله قولوا . لأنّ على حرف استعلاء يقتضى النزول من علو . ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وإلى حرف غاية وهو موصل إلى جميع الأمة (ومن يبتغ) الآية : إبطال لجميع الأديان غير الإسلام ، وقيل نسخت : إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى الآية (كيف) سؤال والمراد به هنا استبعاد الهدى (قوما كفروا) نزلت فى الحرث بن سويد وغيره أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار ثم كتبوا إلى أهلهم هل لنا من توبة ؟ فنزلت الآية إلى قوله : إلا الذين تابوا ، فرجعوا إلى الإسلام ؛ وقيل نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث ، وشهدوا عطف على إيمانهم ، لأنّ معناه بعد أن آمنوا ، وقيل الواو للحال ، وقال ابن عطية . عطف على كفروا والواو لا ترتب (والناس أجمعين) عموم بمعنى الخصوص فى المؤمنين أو على عمومه وتكون اللعنة فى الآخرة (خالدين فيها) الضمير عائد على اللعنة ، وقيل على النار وإن لم تكن ذكرت ؛ لأنّ المعنى

وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم
مِّن نَّاصِرِينَ * لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ
حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ
فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

يقتضيها (ثم ازدادوا كفرا) قيل هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه، ثم ازدادوا كفرا بعداوتهم له وطعنهم عليه؛ وقيل هم الذين ارتدوا (لن تقبل توبتهم) قيل ذلك عبارة عن موتهم على الكفر: أى ليس لهم توبة فتقبل، وذلك فى قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر، فذلك عام (فلن يقبل من أحدهم ملء) جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر. والواو فى قوله: ولو افتدى به، قيل زائدة وقيل للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به (ولو افتدى به) وقيل نفى أولا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفى كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلىّ (لن تنالوا البرّ) أى لن تكونوا من الأبرار ولن تنالوا البر الكامل (حتى تنفقوا مما تحبون) من أموالكم ولما نزلت قال أبو طلحة إن أحب أموالى إلىّ بيرحاء، وإنها صدقة، وكان ابن عمر يتصدق بالسكر ويقول إنى لأحبه (كل الطعام) الآية إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبنى إسرائيل (إلا ما حرم إسرائيل) أبوهم (على نفسه) وهو لحم الإبل ولبنها ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم فى قولهم إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام وأن الأشياء التى هى محرمة كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها، خلافا لليهود فى قولهم إن النسخ محال على هذه الأشياء، وفيها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكرا لله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم (فأتوا بالتوراة) تعجيزا لليهود، وإقامة حجة عليهم، وروى أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة (فمن افترى) أى من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بنى إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل (صدق الله) أى الأمر كما وصف لا كما تكذبون أنتم ففيه تعريض بتكذيبهم (فاتبعوا ملة إبراهيم) إلزام لهم أن يسلموا كما ثبت أن ملة الإسلام هى ملة إبراهيم التى لم يحرم فيها شىء مما هو محرم عليهم (إن أول بيت) أى أول مسجد بنى فى الأرض، وقد سأل أبو ذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أى مسجد بنى أول؟ قال: المسجد الحرام، ثم بيت المقدس، وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: المعنى أنه أول بيت وضع مباركا وهدى وقد كانت قبله بيوتا (ببكة) قيل هى مكة والباء بدل من الميم، وقيل مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله (مباركا)

لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ
كَٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ

نصب على الحال والعامل فيه على قول على وضع (مباركا) على أنه حال من الضمير الذى فيه وعلى القول الأول هو حال من الضمير المجرور والعامل فيه العامل المجرور من معنى الاستقرار (فيه آيات بينات) آيات البيت كثيرة ، منها الحجر الذى هو مقام إبراهيم وهو الذى قام عليه حين رفع القواعد من البيت ، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر فى الهواء حتى أكمل البناء ، وغرقت قدم إبراهيم فى الحجر كأنها فى طين ، وذلك الأثر باق إلى اليوم ، ومنها أن الطيور لا تعلوه ، ومنها إهلاك أصحاب الفيل ، ورد الجبابرة عنه و نبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه وحفر عبد المطلب بعدد ثورها وأن ماؤها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك (مقام إبراهيم) قيل إنه بدل من الآيات أو عطف بيان ، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع لأن المقام يحتوى على آيات كثيرة لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك ، وقيل الآيات : مقام إبراهيم ، وأمن من دخله ، فعلى هذا يكون قوله ومن دخله عطفا ، وعلى الأول استئنافا ، وقيل التقدير منهن مقام إبراهيم ، فهو على هذا مبتدأ ، والمقام هو الحجر المذكور ، وقيل البيت كله ، وقيل مكة كلها (كان آمنا) أى آمنا من العذاب ، فإنه كان فى الجاهلية إذا فعل أحد جريمة ثم لجأ إلى البيت لا يطلب ، ولا يعاقب ، فأما فى الإسلام فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص ، وقال ابن عباس وأبو حنيفة ذلك الحكم باق فى الإسلام إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج وقيل آمنا من النار (حج البيت) بيان لوجوب الحج واختلف هل هو على الفور أو على التراخى ، وفى الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم قيل لهم إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذى بناه إبراهيم ودعا الناس إليه (من استطاع) بدل من الناس ، وقيل فاعل بالمصدر ، وهو حج ؛ وقيل شرط مبتدأ : أى من استطاع فعليه الحج ؛ والاستطاعة عند مالك هى القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن إما راجلا وإما راكبا مع الزاد المبلغ والطريق الآمن وقيل الاستطاعة الزاد والراحلة ، وهو مذهب الشافعى وعبد الملك بن حبيب وروى فى ذلك حديث ضعيف (ومن كفر) قيل المعنى من لم يحج ، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقيل أراد اليهود لأنهم لا يحجون ، وقيل من زعم أن الحج ليس بواجب (لم تكفرون) توبيخ لليهود (لم تصدون) توبيخ أيضا ، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم (سبيل الله) هنا الإسلام (تبغونها عوجا) الضمير يعود على السبيل أى تطلبون لها الاعوجاج (وأنتم تشهدون) أى تشهدون أن الإسلام حق (إن تطيعوا فريقا) الآية : لفظها عام والخطاب للأوس والخزرج إذ كان اليهود يريدون فتنتهم (وكيف

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم

تكفرون) إنكار واستبعاد (حق تقاته) قيل نسخها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وقيل لانسخ إذ لا تعارض فإن العباد أمروا بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا تحرزا من الإكراه ونحوه (واعتصموا بحبل الله) أى تمسكوا ، والحبل هنا مستعار من الحبل الذى تشد عليه اليد ، والمراد به هنا القرآن ، وقيل الجماعة (ولا تفرقوا) نهى عن التدابر والتقاطع ، إذ قد كان الأوس هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم ، ويحتمل أن يكون نهيا عن التفرق فى أصول الدين ولا يدخل فى النهى الاختلاف فى الفروع (إذ كنتم أعداء) كان بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله بالإسلام (شفا حفرة) أى حرف حفرة وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التى تقودهم إلى النار (ولتكن منكم أمة) الآية : دليل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب ، وقوله منكم : دليل على أنه فرض كفاية لأن من للتبعيض ، وقيل إنها لبيان الجنس ، وأن المعنى كونوا أمة وتغيير المنكر يكون باليد وباللسان وبالقلب ، على حسب الأحوال (كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى نهى الله المسلمين أن يكونوا مثلهم ، وورد فى الحديث أنه عليه السلام قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، قيل ومن تلك الواحدة ؟ قال : من كان على ما أنا وأصحابى عليه (يوم تبيض وجوه) العامل فيه محذوف وقيل عذاب عظيم (أكفرتم بعد إيمانكم) أى يقال لهم أكفرتم والخطاب لمن ارتد عن الإسلام وقيل للخوارج ، وقيل لليهود لأنهم آمنوا بصفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فى التوراة ثم كفروا به لما بعث (كنتم خير أمة) كان هنا هى التى تقتضى الدوام كقوله وكان الله غفورا رحيما ، وقيل كنتم فى علم الله ، وقيل كنتم فيما وصفتم به فى الكتب المتقدمة ، وقيل كنتم بمعنى

مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ

أنتم ، والخطاب لجميع المؤمنين ، وقيل للصحابة خاصة (لن يضروكم إلا أذى) أى بالكلام خاصة وهو أهون المضرة (يولوكم الأدبار) إخبار بغيب ظهر فى الوجود صدقه (ثم لا ينصرون) إخبار مستأنف غير معطوف على يولوكم ، وفائدة ذلك أن توليهم الأدبار مقيد بوقت القتال ، وعدم النصر على الإطلاق ، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء ، وثم لترتيب الأحوال لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال (إلا بحبل من الله) الحبل هنا العهد والذمة (ليسوا سواء) أى ليس أهل الكتاب مستويين فى دينهم (أمة قائمة) أى قائمة بالحق ، وذلك فيمن أسلم من اليهود : كعبدالله بن سلام ، وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد وغيرهم (وهم يسجدون) يدل أن تلاوتهم للكتاب فى الصلاة (فلن تكفروه) أى لن تحرموا ثوابه (مثل ما ينفقون) الآية : تشبيه لنفقة الكافرين بزرع أهلكته ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه فكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون وفى الكلام حذف تقديره : مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح وإنما احتيج لهذا لأن ما ينفقون ليس تشبيها بالريح إنما هو تشبيه بالزرع الذى أهلكته الريح (صرّ) أى برد (حرث قوم ظلموا أنفسهم) أى عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم (وما ظلمهم الله) الضمير للكفار ، أو المنافقين ، أولأصحاب الحرث ، والأول أرجح ، لأن قوله أنفسهم يظلمون فعل حال يدل على أنه للحاضرين (بطانة من دونكم) أى أولياء من غيركم فالمعنى نهى عن استخلاص الكفار وموالاتهم وقيل لعمر رضى الله عنه إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطا منه ، أفلا يكتب عنك : قال إذا أتخذ بطانة من دون المؤمنين (لا يألونكم خبالا) أى لا يقصرون فى إفسادكم ، والخبال الفساد (ودوا ما عنتم) أى تمنوا مضرتكم ، وما مصدرية وهذه

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا
لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ
آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ۞ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ
آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ

الجملة والتى قبلها صفة للبطانة أو استئناف (وتؤمنون بالكتاب كله) أى بكل كتاب أنزله الله واليهود لا يؤمنون بقرآنكم (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ، والأنامل جمع أنملة بضم الميم وفتحها (موتوا بغيظكم) تقريع وإغاظة ، وقيل دعاء (إن تمسسكم حسنة) الحسنة هنا : الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك ، والسيئة ضدها (لا يضركم) من الضير بمعنى الضر (وإذ غدوت من أهلك) نزلت فى غزوة أحد ، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وذلك يوم السبت حين حضر القتال ، وقيل ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة ، وذلك ضعيف لأنه لا يقال غدوت فيما بعد الزوال إلا على المجاز ، وقيل ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس وذلك ضعيف لأنه لم يبوئ حينئذ مقاعد للقتال إلا أن يراد أنه بوأهم بالتدبير حين المشاورة (مقاعد) مواضع وهو جمع مقعد (طائفتان منكم) هم بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج ، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المؤمنين هموا بالانصراف فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن تفشلا) الفشل فى البدن هو الإعياء ، والفشل فى الرأى هو العجز والحيرة وفساد العزم (والله وليهما) أى مثبتهما ، وقال جابر بن عبد الله ما وددنا أنها لم تنزل لقوله والله وليهما (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم (وأنتم أذلة) الذلة هى قلة عددهم وضعف عددهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن لهم إلا فرس واحد وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف ، وكان معهم مائة فرس فقتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون وانهزم سائرهم (لعلكم تشكرون) متعلق بنصركم أو باتقوا ؛ والأول أظهر (إذ تقول للمؤمنين) كان هذا القول يوم بدر ، وقيل يوم أحد ، فالعامل فى إذ على الأول محذوف ، وعلى الثانى بدل من إذ غدوت (ألن يكفيكم) تقرير جوابه بلى ، وإنما جاوب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله قل « من رب السموات والأرض قل الله » (ويأتوكم من فورهم) الضمير للمشركين ، والفور السرعة : أى من ساعتهم وقيل المعنى من سفرهم (بخمسة آلاف) بأكثر من العدد الذى يكفيكم ليزيد ذلك فى قوتكم فإن كان هذا يوم

اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ * لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ
شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *
وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ *
أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ

بدر ، فقد قاتلت فيه الملائكة وإن كان يوم أحد فقد شرط فى قوله : إن تصبروا وتتقوا ، فلما خالفوا الشرط لم تنزل الملائكة (مسومين) بفتح الواو وكسرها أى معلمين ، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء ، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء ، وقيل كانت عمائمهم صفر ، وكانت خيلهم مجزوزة الأذناب وقيل كانوا على خيل بلق (وما جعله) الضمير عائد على الإنزال ، أو الإمداد (ولتطمئن) معطوف على بشرى لأن هذا الفعل بتاويل المصدر ، وقيل يتعلق بفعل مضمر يدل عليه جعله (ليقطع) يتعلق بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر (ليس لك من الأمر شىء) جملة اعتراضية بين المعطوفين ونزلت لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على أحياء من العرب فترك الدعاء عليهم (أو يتوب عليهم) معناه يسلمون (أضعافا مضاعفة) كانوا يزيدون كل ما حل عاما بعد عام (سارعوا) بغير واو استئناف ، وبالواو عطف على ما تقدم (إلى مغفرة) أى إلى الأعمال متى تستحقون بها المغفرة (عرضها) قال ابن عباس : تقرن السموات والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله : وقيل ليس العرض هنا خلاف الطول وإنما المعنى سعتها كسعة السموات والأرض (فى السراء والضراء) فى العسر واليسر (وهم يعلمون) حذف مفعوله وتقديره وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا (قد خلت من قبلكم سنن) خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم وقيل للكافرين تخويفا لهم (فانظروا) من نظر العين عند الجمهور وقيل هو بالفكر (ولا تهنوا) تقوية لقلوب المؤمنين (وأنتم الأعلون) إخبار بعلو كلمة الإسلام (إن يمسسكم قرح) الآية معناها إن مسكم قتل أو جراح فى أحد فقد مس الكفار مثله فى بدر ، وقيل قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه فإنهم

مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين * ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين * وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين * وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما

نالوا منكم ونلتم منهم وذلك تسلية المؤمنين بالتأسي (نداولها) تسلية أيضا عما جرى يوم أحد (وليعلم) متعلق بمحذوف تقديره أصابكم ما أصابهم يوم أحد ليعلم والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة (شهداء) من قتل من المسلمين يوم أحد (وليمحص الله) أي يظهر ، وقيل يميز ، وهو معطوف على ماتقدم من التعليلات لقصة أحد ، والمعنى أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين أي يهلكهم (أم حسبتم) أم هنا منقطعة مقدرة ببل والهمزة عند سيبويه ، وهذه الآية ومابعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد (تمنون الموت) خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر فتمنوا حضور قتال الكفار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستدركوا مافاتهم من الجهاد فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت ، وقيل إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله (وماحمد إلا رسول) المعنى أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول كسائر الرسل قد بلغ الرسالة كما بلغوا فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته وسببها أنه صرخ صارخ يوم أحد . إن محمدا قد مات ، فتزلزل بعض الناس (أفإن مات) دخلت ألف التوبيخ على جملة الشرط والجزاء ، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها والمعنى أن موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم ، لأن شريعته قد تقررت وبراهينه قد صحت ، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات صلى الله عليه وسلم ، أو قتل وقد علم أنه لا يقتل ولكن ذكر ذلك لما صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم (الشاكرين) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الثابتون على دينهم (كتابا مؤجلا) نصب على المصدر لأن المعنى كتب الموت كتابا ، وقال ابن عطية نصب على التمييز (نؤته منها) في ثواب الدنيا ، مقيد بالمشيئة بدليل قوله عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد (وكأين من نبي قاتل) الفعل مسند إلى ضمير النبي ومعه ربيون على هذا في موضع الحال ، وقيل إنه مسند إلى الربيين ، فيكون ربيون على هذا مفعولا لما لم يسم فاعله فعلى الأول يوقف على قوله قتل ، ويترجح الأول : بما صرخ به الصارخ يوم أحد : إن محمدا قد مات ، فضرب لهم المثل بنبي قتل ، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قط نبي في محاربة (ربيون) علماء مثل ربانيين ، وقيل جموع كثيرة (فما

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ

وهنوا) الضمير لربيون على إسناد القتل للنبي ، وهو لم يق منهم على إسناد القتل إليهم (وما استكانوا) أى لم يذلوا للكفار قال بعض النحاة : الاستكان مشتق من السكون ، ووزنه افتعلوا مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطلها ألف وذلك كالإشباع ، وقيل إنه من كان يكون ، فوزنه استفعلوا ، وقوله تعالى فما وهنوا وما بعده : تعريض لما صدر من بعض الناس يوم أحد (ثبت أقدامنا) أى فى الحرب (ثواب الدنيا) النصر (ثواب الآخرة) الجنة (إن تطيعوا الذين كفروا) هم المنافقون الذين قالوا فى قضية أحد ما قالوا ، وقيل مشركو قريش وقيل اليهود (الرعب) قيل ألقى الله الرعب فى قلوب المشركين بأحد فرجعوا إلى مكة من غير سبب ، وقيل لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين ، فألقى الله الرعب فى قلوبهم ، فأمسكوا ، والآية تتناول جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نصرت بالرعب (ولقد صدقكم الله وعده) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وعد المسلمين عن الله بالنصر فنصرهم الله أولا ، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قد أمر الرماة أن يثبتوا فى مكانهم ولا يبرحوا فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوا فى الغنيمة واتبعوهم وخالفوا ما أمروا به من الثبوت فى مكانهم فانقلبت الهزيمة على المسلمين (إذ تحسونهم) أى تقتلونهم قتلا ذريعا يعنى فى أول الأمر (وتنازعتم) وقع النزاع بين الرماة فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم (وعصيتم) أى خالفتم ما أمرتم به من الثبوت ، وجاءت المخاطبة فى هذا لجميع المؤمنين وإن كان المخالف بعضهم وعظا للجميع ، وسترا على من فعل ذلك وجواب إذ محذوف تقديره : لانهزمتم (منكم من يريد الدنيا) الذين حرصوا على الغنيمة معه (ليبتليكم) معناه لينزل بكم ما نزل من القتل والتمحيص (ولقد عفا عنكم) إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم ، فمعناه لقد أبقى عليكم ، وقيل هو عفو عن الذنب (إذ تصعدون) العامل فى إذ عفا ، فيوصل إذ تصعدون مع ما قبله ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمر (ولا تلوون) مبالغة فى صفة الانهزام (والرسول يدعوكم) كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إلىّ عباد الله وهم يفرون (فى أخراكم) فى ساقتكم وفيه مدح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأخرى هى

فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ

موقف الأبطال (فأثابكم) أى جازاكم (غما بغم) قيل أثابكم غما بسبب الغم الذى أدخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين، إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل أثابكم غما متصلا بغم، وأحد الغمين: ما أصابهم من القتل والجراح والآخر ما أرجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم (على ما فاتكم) من النصر والغنيمة (ولا ما أصابكم) من القتل والجراح والانهزام (أمنة نعاسا) قال ابن مسعود: نعسنا يوم أحد، والنعاس فى الحرب أمان من الله (يغشى طائفة منكم) هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينا لهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون (غير الحق) معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم، وظن الجاهلية بدل وهو على حذف الموصوف تقديره ظن المودة الجاهلية، أو الفرقة الجاهلية (هل لنا من الأمر من شىء) قالها عبد الله بن أبى ابن سلول، والمعنى ليس لنا رأى، ولا يسمع قولنا أو لسنا على شىء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا (يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك) يحتمل أن يريد الأقوال التى قالوها أو الكفر (لو كان لنا من الأمر شىء) قاله معتب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتمل قول عبد الله بن أبى (قل لو كنتم فى بيوتكم) الآية: رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله، ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شىء (وليبتلى) يتعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلى (إن الذين تولوا) الآية: نزلت فيمن فر يوم أحد (استزلهم) أى طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم: أى أوقعهم فى الزلل (ببعض ما كسبوا) أى كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها: بأن مكن الشيطان من استزلالهم (عفى الله عنهم) أى غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار (لا تكونوا كالذين كفروا) أى المنافقين (لإخوانهم) هى أخوة القرابة، لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة (إذا ضربوا فى الأرض) أى سافروا وإنما قال إذا التى للاستقبال مع قالوا، لأنه على حكاية الحال الماضية (أو كانوا غزا) جمع غاز وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين (لو كانوا عندنا) اعتقاد منهم فاسد لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا

فى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ * فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ

قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم ويقرب منه مذهب المعتزلة فى القول بالأجلين (ليجعل) متعلق بقالوا . أى قالوا ذلك فكان حسرة فى قلوبهم فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة (ذلك) إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذى أوجب لهم الحسرة ، لأن الذى يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة (والله يحيي ويميت) رد على قولهم واعتقادهم (ولئن قتلتم) الآية إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا فى سبيل الله خير لهم مما يجمعون من الدنيا (ولئن متم أو قتلتم) الآية إخبار أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله (فبما رحمة) ما زائدة للتأكيد لانفضوا أى تفرقوا (فاعف عنهم) فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله (وشاورهم) المشاورة مأمور بها شرعا ، وإنما يشاور النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس فى الرأى فى الحروب وغيرها لا فى الأحكام الشرعية ، وقال ابن عباس وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزمت فتوكل على الله) التوكل هو الاعتماد على الله فى تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها ، وفى دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها ، وهو من أعلى المقامات ، لوجهين : أحدهما قوله إن الله يحب المتوكلين ، والآخر الضمان الذى فى قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وقد يكون واجبا لقوله تعالى : وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، فجعله شرطا فى الإيمان ، والظاهر قوله جل جلاله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فان الأمر محمول على الوجوب

واعلم أن الناس فى التوكل على ثلاثة مراتب : الأولى أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذى لا يشك فى نصيحته له ، وقيامه بمصالحه ، والثانية : أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ، ولا يلجأ إلا إليها ، والثالثة أن يكون العبد مع ربه : كالميت بين يدى الغاسل ، قد أسلم نفسه إليه بالكلية ، فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذى تكلمنا عليه فى قوله : وإلهكم إله واحد ، فهى تقوى بقوته ، وتضعف بضعفه ، فإن قيل : هل يشترط فى التوكل ترك الأسباب أم لا ؟ فالجواب : أن الأسباب على ثلاثة أقسام : أحدهما : سبب معلوم قطعا قد أجراه الله تعالى : فهذا لا يجوز تركه ؛ كالأكل لدفع الجوع ، واللباس لدفع البرد . والثانى سبب مظنون : كالتجارة وطلب المعاش ، وشبه ذلك ، فهذا لا يقدم فعله فى التوكل لأن التوكل من أعمال القلب ، لا من أعمال البدن ، ويجوز تركه لمن قوى عليه ، والثالث : سبب موهوم بعيد ، فهذا يقدم فعله فى التوكل ، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية ، فان المتوكل له مراد واختيار ، وهو يطلب مراده باعتماده على ربه ، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار ، بل أسند المراد والاختيار إلى الله تعالى ، فهو أكمل أدبا مع الله تعالى (وما

يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ * أَوَ لَمَّآ أَصٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنّٰى هٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَمَآ أَصٰبَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا

كان لنبي أن يغلّ) هو من الغلول وهو أخذ الشيء خفية من المغانم وغيرها ، وقرئ بفتح الياء وضم الغين ، ومعناه تبرئة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وسببها أنه فقدت من المغانم قطيفة حمراء ، فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذها ، وقرئ بضم الياء وفتح الغين ، أى ليس لأحد أن يغل نبيا : أى يخونه فى المغانم ، وخص النبي بالذكر وإن كان ذلك محظورا من الأمر لشنعة الحال مع النبي لأن المعاصى تعظم بحضرته ، وقيل معنى هذه القراءة : أن يوجد غالا كما تقول أحمدت الرجل ، إذا أصبته محمودا ، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة ، إلى معنى فتح الياء (ومن يغلل يأت بما غل) وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذى غل ، وقد جاء ذلك مفسراً فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير لاألفين أحدكم على رقبته فرس لاألفين أحدكم على رقبته رقاع لاألفين أحدكم على رقبته صامت لاألفين أحدكم على رقبته إنسان ، فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لاأملك لك من الله شيئا قد بلغتك (أفمن اتبع) الآية : فقيل إن الذى اتبع رضوان الله · من لم يغلل ، والذى باء بالسخط من غل ، وقيل الذى اتبع الرضوان : من استشهد بأحد ، والذى باء بالسخط : المنافقون الذين رجعوا عن الغزو (وهم درجات) ذووا درجات ، والمعنى تفاوت بين منازل أهل الرضوان وأهل السخط أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان فان بعضهم فوق بعض ، فكذلك درجات أهل السخط (لقد من الله) الآية إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من أنفسهم) معناه فى الجنس واللسان ، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به ، وقلة الاستيحاش منه ، وكونه بلسانهم يوجب حسن ألفهم عنه ، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ويكون ، هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أشفق عليهم وأرحم بهم من الأجنبيين (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية . عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف ، والجملة معطوفة على ماتقدم من قصة أحد أو على محذوف (قد أصبتم مثليها) قتل يوم أحد من المسلمين سبعون ، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون ، وأسر سبعون (قل هو من عند أنفسكم) قيل معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج إلى المشركين فأبوا إلا الخروج ، وقيل بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبما تقدم (يوم التقى الجمعان) أى جمع المسلمين والمشركين يوم أحد (وقيل لهم تعالوا) الآية : كان رأى

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *

عبدالله بن أبي ابن سلول أن لا يخرج المسلمون إلى المشركين ، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: غضب عبدالله ، وقال أطاعهم وعصانا ، فرجع ورجع معه ثلاثمائة رجل ، خمسين فمشى في أثرهم عبدالله بن عمر بن حزام الأنصاري ، وقال لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله ، أو ادفعوا ، فقال له عبد الله بن أبيّ ما أرى أن يكون قتال ، لو علمنا أنه يكون قتال لكنا معكم (أو ادفعوا) أي كثروا السواد ، وإن لم تقاتلوا (الذين قالوا) بدل من الذين نافقوا ، أو لإخوانهم في النسب ، لأنهم كانوا من الأوس والخزرج (قل فادرءوا) أي ادفعوا المعنى ردّ عليهم (بل أحياء) إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة بخلاف سائر الأموات من المؤمنين فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) المعنى أنهم يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم فينالوا مثل ما نالوا من الشهادة (ألا خوف) في موضع المفعول أو بدل من الذين (يستبشرون) كرر ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل (للذين استجابوا) صفة للمؤمنين أو مبتدأ وخبره للذين أحسنوا الآية ، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع المشركين بعد غزوة أحد ، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد ، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك (الذين قال لهم الناس) الآية : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حمراء الأسد بعد أحد : بلغ ذلك أبا سفيان فمر عليه ركب من عبدالقيس يريدون المدينة بالميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبطوا المسلمين عن اتباع المشركين فخوفوهم بهم ، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرجوا ، فالناس الأول ركب عبدالقيس ، والناس الثاني مشركو قريش وقيل نادى أبو سفيان يوم أحد : موعدنا ببدر في القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله فلما كان العام القابل : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر للميعاد ، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي ليثبط المسلمين ، فعلى هذا الناس الأول نعيم ، وإنما قيل له الناس وهو واحد : لأنه من جنس الناس كقولك ركبت الخيل إذا ركبت فرسا (فزادهم) الفاعل ضمير المفعول ، وهو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص ، فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله (حسبنا

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۞ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ
بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا
نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ
هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَّقَدْ

الله ونعم الوكيل) كلمة يدفع بها مايخاف ويكره وهى التى قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، ومعنى حسبنا الله : كافينا وحده فلا نخاف غيره ، ومعنى ونعم الوكيل : ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه (فانقلبوا) أى رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر (واتبعوا رضوان الله بخروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ذلكم الشيطان) المراد به هنا أبو سفيان ، أو نعيم الذى أرسله أبو سفيان أو إبليس ، وذلكم مبتدأ ، والشيطان خبره ومابعده مستأنف ، أو الشيطان نعت ومابعده خبر (يخوف أولياءه) أى يخوفكم أيها المؤمنون أولياءه وهم الكفار ، فالمفعول الأول محذوف ويدل عليه قوله : فلاتخافوهم ، وقرأ ابن مسعود وابن عباس يخوفكم أولياءه ، وقيل المعنى يخوف المنافقين وهم أولياؤه من كفار قريش ، فالمفعول الثانى على هذا محذوف (ولايحزنك) تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاى حيث وقع مضارعا من حزن الثانى ، وهو أشهر فى اللغة من أحزن (الذين يسارعون فى الكفر) أى يبادرون إلى أقواله وأفعاله وهم المنافقون والكفار (إن الذين اشتروا) الآية هم المذكورون قبل أو على العموم فى جميع الكفار (أنما نملى لهم خير) أى نمهلهم أن مفعول يحسبن ، وما اسم أن فحقها أن تكتب منفصلة وخير خبر : إنما نملى لهم ماهنا كافة والمعنى رد عليهم أى أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم إنما هو استدراج ليكتسبوا الإثم (ماكان الله ليذر المؤمنين) الآية : خطاب للمؤمنين ، والمعنى ماكان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين ، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر فى غزوة أحد من الأقوال والأفعال التى تدل على الإيمان أو على النفاق (وماكان الله ليطلعكم على الغيب) أى ما كان الله ليطلعكم على مافى القلوب من الإيمان والنفاق أو ماكان الله ليطلعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون (ولكن الله يجتبى) أى يختار من رسله من يشاء فيطلعهم على ماشاء من غيبه (الذين يبخلون) يمنعون الزكاة وغيرها (هو خيرا) هو فصل وخيرا مفعول ثان ، والأول محذوف تقديره لايحسبن البخل خيرا لهم (سيطوقون) أى يلزمون إثم مابخلوا به ، وقيل يجعل مابخلوا به حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة (لقد سمع الله) الآية : لما نزلت : من ذا الذى يقرض الله : قال بعض اليهود وهو

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

فنحاص ، أوحي بن أخطب أوغيرهما إنما يستقرض الفقير من الغنى ، فالله فقير ونحن أغنياء ، فنزلت هذه الآية ، وكان ذلك القول منهم اعتراضا على القرآن أوجبه قلة فهمهم ، أوتحريفهم للمعانى ، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر ، وإن قالوه بغير اعتقاد : فهو استخفاف ، وعناد (سنكتب ماقالوا) أى تكتبه الملائكة فى الصحف (وقتلهم الأنبياء) أى قتل آبائهم للأنبياء ، وأسند إليهم لأنهم راضون به ، ومتبعون لمن فعله من آبائهم (الذين قالوا) صفة للذين ، وليس صفة للعبيد (حتى يأتينا بقربان) كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أوغيرها جعلوه فى مكان ، فتنزل نار من السماء فتحرقه ، وإن لم تنزل فليس بمقبول ، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك علامة على صدق الرسل (قل قدجاءكم رسل) الآية : ردعليهم بأن الرسل قدجاءتهم بمعجزات توجب الإيمان بهم ، وجاؤهم أيضا بالقربان الذى تأكله النار ، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم ، فذلك يدل على أن كفرهم عناد ، فإنهم كذبوا فى قولهم إن الله عهد إلينا (فإن كذبوك فقد كذب) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسى بغيره (فمن زحزح) أى نحى وأبعد (لتبلون) الآية : خطاب للمسلمين ، والبلاء فى الأنفس بالموت والأمراض ، وفى الأموال بالمصائب والإنفاق (ولتسمعن) الآية : سببها قول اليهود إن الله فقير ، وسببهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) قال ابن عباس هى لليهود : أخذ عليهم العهد فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتموه ، وهى عامة فى كل من علمه الله علما (الذين يفرحون بما أتوا) الآية : قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شىء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، واستحمدوا إليه بذلك ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه ماسألهم عنه ، وقال أبو سعيد الخدرى : نزلت فى المنافقين : كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ، وإذاقدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۞ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ۞ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فلا تحسبنهم) بالتاء وفتح الباء : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالياء وضم الباء : أسند الفعل للذين يفرحون : أى لا يحسبون أنفسهم بمفازة من العذاب ، ومن قرأ تحسبن بالتاء : فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والذين يفرحون : مفعول به ، وبمفازة المفعول الثانى ، وكرر فلا تحسبنهم : للتأكيد ، ومن قرأ لا يحسبن بالياء من أسفل ، فإنه حذف المفعولين ، لدلالة مفعولى لا تحسبنهم عليهما (واختلاف الليل والنهار) ذكر فى البقرة (قياما وقعودا وعلى جنوبهم) أى يذكرون الله على كل حال فكأن هذه الهيآت حصر لحال بنى آدم ، وقيل إن ذلك فى الصلاة : يصلون قياما ، فان لم يستطيعوا صلوا قعودا ، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم (ربنا) أى يقولون . ربنا ما خلقت هذا الغير فائدة بل خلقته وخلقت البشر ، لينظروا فيه فيعرفونك (سمعنا مناديا) هو النبي صلى الله عليه وسلم (ما وعدتنا على رسلك) أى على ألسنة رسلك (من ذكر وأنثى) من لبيان الجنس ، وقيل زائدة لتقدم النفى (بعضكم من بعض) النساء والرجال سواء فى الأجور والخيرات (وأخرجوا من ديارهم) هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها (ثوابا) منصوبا على المصدرية (لا يغرنك) الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أى لا تظنوا أن حال الكفار فى الدنيا دائمة فتهتموا لذلك ، وأنزل لا يغرنك منزلة لا يحزنك (متاع قليل) أى تقلبهم فى الدنيا قليل بالنظر إلى ما فاتهم فى الآخرة (نزلا) منصوب على الحال من جنات أو على المصدرية (للأبرار) جمع بار وبر ، ومعناه العاملون بالبر ، وهى غاية التقوى والعمل الصالح ، قال بعضهم الأبرار : هم الذين لا يؤذون أحدا (وإن من أهل الكتاب) الآية : قيل نزلت فى النجاشى ملك الحبشة ، فإنه كان نصرانيا فأسلم ، وقيل فى عبد الله بن سلام

بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞

سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۞

وغيره ممن أسلم من اليهود (لا يشترون) مدح لهم ، وفيه تعريض لذم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا (وصابروا) أى صابروا عدوكم فى القتال (ورابطوا) أقيموا فى الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد ، وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله ، أى معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر ، قال صلى الله عليه وآله وسلم رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله فى انتظار الصلاة فذلكم الرباط فهو تشبيه بالرباط فى سبيل الله لعظم أجره ، والمرابط عند الفقهاء هو الذى يسكن الثغور فيرابط فيها وهى غير موطنه ، فأما سكانها دائما بأهلهم ومعايشهم فليسوا مرابطين ، ولكنهم حماة ، حكاه ابن عطية .

سورة النساء

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) خطاب على العموم وقد تكلمنا على التقوى فى أول البقرة (من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (زوجها) هى حوّاء خلقت من ضلع آدم (وبث) نشر (تساءلون به) أى يقول بعضكم لبعض أسألك بالله أن تفعل كذا (والأرحام) بالنصب عطفا على اسم الله أى اتقوا الأرحام فلا تقطعوها ، أو على موضع الجار والمجرور ، وهو به ، لأن موضعه نصب وقرئ بالخفض عطف على الضمير فى به ، وهو ضعيف عند البصريين ، لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض (إن الله كان عليكم رقيبا) إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة ، وهو مقام شريف أصله علم وحال ، ثم يثمر حالين : أما العلم : فهو معرفة العبد ؛ لأن الله مطلع عليه ، ناظر إليه يرى جميع أعماله ، ويسمع جميع أقواله ، ويعلم كل ما يخطر على باله ، وأما الحال فهى ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ، ولا يغفل عنه ، ولا يكفى العلم دون هذه الحال ، فإذا حصل العلم والحال : كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين : الحياء من الله ، وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصى والجد فى الطاعات ، وكانت ثمرتها عند المقربين : الشهادة التى توجب التعظيم والإجلال لذى الجلال وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فقوله أن تعبد الله كأنك تراه : إشارة إلى الثمرة الثانية ، وهى المشاهدة الموجبة للتعظيم : كمن يشاهد ملكا عظيما ، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة ، وقوله فإن لم تكن تراه فإنه يراك : إشارة إلى الثمرة الأولى ومعناه إن لم تكن من أهل المشاهدة التى هى مقام المقربين ، فاعلم أنه يراك فكن من أهل الحياء الذى هو مقام أصحاب اليمين ، فلما فسر الإحسان